

دراسات تاريخية

مجلة علمية فصلية محكمة



إشبيلية
للدراسات والنشر والتوزيع
دمشق – سورية

دراسات تاريخية

مجلة علمية فصلية

تعنى بالدراسات حول تاريخ العرب

تصدرها

لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق

العدد الاول ، ربيع الثاني ١٤٠٠ هـ / اذار (مارس) ١٩٨٠ م

ثمن العدد

في سورية ٣٠٠ ق٠س ، لبنان ٣٠٠ ق٠ل ، الاردن ٣٠٠ فلس ، العراق ٤٠٠ فلس ، الكويت ٤٠٠ فلس ، عدن ٦٠٠ فلس ، البحرين ٦٠٠ فلس ، السعودية ٦ ريالات ، قطر ٦ ريالات ، الامارات العربية والخليج العربي ٥ر٧ درهم ، مصر ٤٥٠ مليما ، السودان ٧٥٠ مليما ، ليبيا ٤٥٠ مليما ، تونس ٦٠٠ مليما ، الجزائر والمغرب ٦ دراهم ٠

المراسلات: لجنة كتابة تاريخ العرب
جامعة دمشق ـ الجمهورية العربية السورية

تقديم

حين قامت النهضة العربيــة الحديثة رافقتها ومهدت لها حركــة احياء اللغــة العربية ، وبعث التراث ، والعناية بكتابة التاريخ . كان استلهام التاريخ العربي ، والتمسك بالعربية المبينة ، والاستمداد من تراث الأجداد من خير ماتزودت به الاجيال العربية في نضالها البطولي للخلاص مما تعاني من تحكم الاستعمار ، ومساوىء التجزئة ، ونعرات الاقليميــة ، ونزغــات العصبية ، وفي ثورتهــا وتطلعها لبناء المستقبــل العربي المشرق تظلله رايات التحرر والوحدة والعدل والتقدم والسلام . لقــد ايقظت العربية والتاريخ والتراث مشاعر القومية الاصيلة ، ووحّدت النفوس ، وحفزت الهمم ، واجّجت الحمــاسة ، ووطّــدت معــالم الشخصية العربية ، وكشفت عما قدمته الامة العربية المجيدة في ماضيها الزاهر من مشاركــة جليلــة بنشــاءة في حضارة الانسان وتقدمه ، وفي ترسيخ قيمه الاخلاقية .

ونقف اليوم ، ولا بد لنا من هــذه الوقفة الواعية المتبصّرة التي تضافرت دواعيها وتلاقت أسبابها ، امام هذه الاعمال والمصنّفات الكثيرة التي تم انجازها في ميدان التاليف التاريخي ، خلال هــذه المرحلة الهامة ، فيقودنا النظر ثم ترديــد النظر في تقويم هــذا الجهد الفني الخصب الى ضرورة البدء بمرحلة جــديدة نتوفر فيها على كتابة تاريــخ الامة العربية ، على هَدْي منهج تاريخي سليم ، مستمد ممــا كسبناه مــن التجربة الجادة في مضمار التاليف التاريخي ، وما واتتنا به الخبرة والمعاناة

العربية في دروب العمل القومي من نظرة متفحصة ، قادرة على الرؤية العميقة الشاملة ، تعين على فهم الماضي العربي ، كما كان ، وتهدي الى تصور احـداثه وقد تمشّى في مفاصلها نسغ الحياة ، مسترشدين في تقعيـد هذا المنهج بحصيلة ماتوصل اليه التفكير التاريخي العالمي ، وما انتهت اليه جهود العلماء التخصصين .

ـ من الحق ان التجربة العربية الماضية في كتابـة التاريخ قـد استطاعت التفلت من إساد المنهج القديم الذي سيطر على الاذهـان في مرحلة الجمود والتراخي ، لتنطلق الـى رحاب التأليف المتكىء علـى معطيات المنهج التاريخي النقدي الحديث ، وحظيت المكتبة العربيـة بكتب رائدة في هذا المجال . ولكن التجربة العربية لم يتح لها ان تنمو وتتسع وتبلغ مداهـا القدر لهـا . لقد شابها وخالطها ، وهي في طريقها الى كتابة التاريخ العربي ، ضروب من الضعف ، وألوان من الخطـأ ، مردهـا الى ماعتور المجتمع العربي في هذه الفترة من تيـارات متباينة داخليـة وخارجية ، غريبة على طبيعته ، مما صبغ التأليف باصبـاغ شتى تنافي الموضوعيـة التاريخية ، يمتد بعض منها الى الدراسـات الاستشراقيـة التي تفاوتت في مقاصدها وغاياتها ، وفي مقدرة اصحابها على تبين الحقائق التاريخية العربية بكل ملابساتها الداخليـة المعينة على تفهمها ، ويمتد بعض منهـا الى النزعات الاقليميـة والاتجاهات التقليدية التي كانت تتحرك ضمن الوطن العربي لتجلو الحقائق التاريخية طبق منطلقاتها وعقائدها . دع عنك ضلال المنهج النقدي وغياب الحس التاريخي لدى كثيرين اقتحموا هـذا الميدان ولم يكونوا مؤهلين لـه ، فغامت عليهم صورة الحقيقة ، وحادوا في عملهم عن الجادة ، فكانـوا اسرى النظرات القديمة حينا ، والافكار المصنوعة حينا آخر .

ـ ان منطلقنا اليوم في كتابة التاريخ العربي يعتمد :

١ ـ الحرص على الحقيقة التاريخية ، وتوفير جميع العنـاصر والوسائل التي تؤدي الى استكناهها .

لقد تقدمت صناعة التاريخ في العالم ، بفضل الجهود الكبيرة التي شارك فيهـا علماء التاريخ والفلسفة ورجال الفكر ، واصبح المؤرخ اليوم ذو الموهبة والحس التاريخي اليقظ ، وبفضل ما اتيح له من وسائـل معينة ، اكثر قدرة على استعادة الماضي واستنطاقه ، والتعرف الى حقيقته ، ثم تصويره التصوير الحي ، وتبيين التيارات الفاعلة المؤثرة فيه .

ان امتلاك هذه النظرة الناقدة البصيرة التي تجمع بين الاصالـة والدقـة والتجرد الصارم والحس التاريخي والمعاناة الحية وصحـة الحكم في عرض تاريخنا العربي ، وتحليل التيارات التي حركته ، والكشف عن المؤثرات المتشابكة الداخليـة والخارجية التي خالطت نسيجـه ، وبيان مواطن القوة والضعف ، البطولة والتخاذل ، الابـداع والتقليـد (عن طريق وصف الواقع وصفا صادقا) ترتفع بصناعة التأريخ الـى المستوى الذي تتشوف له الاجيال العربيـة في قراءة تاريخهـا ، يتلألأ بنور الحق ، وبنور الحق وحده .

٢ ــ وحدة الامة العربية :

وهي الحقيقة الراسخة الهادية التي لابد للمؤرخ من ان يستنير بها في عمله ، وهي وسيلته في تفسير هذه الوحـدة الثقافية والحضاريـة الحيـة العميقة التي ربطت بين ابناء الوطن العربي . لقد ثبتت هـذه الوحدة على مر العصور ، ولم تفلح كل المحاولات لتفكيكهـا ، وتحطمت على صخرتها الصلبة كل الهجمات العدوانية التي رامت فصمها . ولن نذهب في تأييد رأينا الى استنطاق الماضي البعيد ، وما اكثر الشواهد فيه على صحة ماقلنا ، بل يكفي ان نستعرض الهجمة الشرسـة التي شنّها الاستعمار على الارض العربية منذ القرن التاسع عشر ، وان نتبين مختلف المؤامرات الحاقدة التي حاكها في الظلام ، وشتى الدعوات المضللة التي نفثهـا انصاره ، ليحول بين العرب وبين الوحدة هدفهم وغايتهم لتتضح لنـا الحقيقة ناصعة . ويوم يقدر للقلم العربي ان يتحرك في هـذا الاطار ليروي قصة الاستعمار في الارض العربية ، وما اقترفه من

جرائم ، ويتحدث عن اساليبه الماكرة ، ومبتكراته الشيطانيـة التي اصطنعها وروج لها ليفسد على العرب وحدتهم ، ويضللهم عنها ، ويشوه معالم الثقافة والحضارة العربيـة ليجعلها ثقافات وحضارات اقليميـة متناكرة ، يوم يتم ذلك تتراءى تلك الملحمـة العربية البطوليـة التي خاضتها جماهيرنا العربية في شتى اقطارها خوض الاستبسال ، السنين تلو السنين ، مقدمة التضحيات اثر التضحيات ، حتى تمكنت من أن تفسد على الاستعمار القبيح خططه المبيتة المنكرة ، وتدحر هجمتـه وعدوانه ، ويسلم لها ايمانها العميق الاصيل الصادق بوحدتها أي بحقيقتها .

٣ ـ الرؤية العميقة الشاملة المتوازنة :

وهو أمر يتصل بالمبداين السابقين ، ويأتي تبعا لهما . اننا لا يصح ان ندرس الجزئيات دراسة تفضي بنا الى التخفف من النظرة الشاملة لتاريخ الامة العربية ، ويذهب بنا التعمق في النقطة الواحدة ، ومقدرتنا علـى التفصيل فيها المذهب الذي يمنحها من القوة والتأثير اكثر مما لها من نصيب في مجرى التاريخ . يجب أن يظل نصب أعيننا مجمل التاريخ العربي بكل عصوره وبكل اتساعه ، وان نعالج موضوعاته المختلفة المعالجة التي تنبثق دوما من هذا الاحساس ، حتى لانقع في ضلال النظرة الجزئية ، ونخطىء في تقدير الموضع الذي يحتله عملنا داخل الاطار العام .

ـ وبعد ، فما اشد حاجتنا اليوم ، الى انجاز كتابة تاريخ الامـة العربية ، على هدي منهج تاريخي نقدي سليم ، يعكس تشوفنا ، ويلبي نزوعنا ، تحشد له ، وتتعاون في اعداده الطاقات العربية الكفيـة القادرة في ارجاء الوطن العربي .

ان كتابة مثل هذا التاريخ الذي تتزين صفحاته بنبرة الصدق ، تصوغه ايدي مؤرخين مبدعين ، يحسنون استنطاق التاريخ ، وتتاح لهم رؤية الماضي رؤية حية ، ورزقوا موهبة التعبير الدقيق الفطن ، هو عمل من اجل الاعمال التي يجب ان نصطلع بها ، وان نتطلع جميعا الى انجازها على خير الوجوه واكفاها .

انها اولا تخدم الحقيقة التاريخية الخالصة ، وهـو امر له شانـه وخطره ، ويجب ان نسعى له ونجهد لتحقيقه . وهي ايضا فيما نراه الطريق الاكثر جدوى في حفز الاجيال العربية الى العمل والابداع ، وهي هي التي تنمي ، بصدقها ونزاهتها ، روح المجاهدة والداب لدى الاجيال العربية في سبيل الاحسن والارقى ، في سبيل تثبيت القيم الانسانيـة الخالدة ، قيم العدل والخير والمحبة ... اما التاريخ الذي يكتب بروح تجانب الواقع وتجافي الحق ، وتؤثر المبالغة في التمجيد والاطراء وتغضي عن المساوىء والهنات ، فانه يكون التاريخ العبء ، التاريخ الذي تنـوء الاجيال بحمله ، وترزح تحت وقره .

ـ مثل هذه المعاني واشباه لها بشأن كتابة تاريخ الامة العربيـة كانت تساور المختصين والمهتمين بتاريخ العرب وهي التي دعت الى تشكيل لجنة تحضيرية بدمشق ، قامت بعد الاتصال والتشاور مع المختصين في مختلف الاقطار العربية بعقد ندوة في دمشق (٢٠ ـ ٢٢ كانون الاول١٩٧٧) شهدها نخبة من المؤرخين والمعنيين بالقضايا القومية ، وقد ناقشوا بروح الجد والمسؤولية مشروع اللجنة التحضيرية المقترح ورقة عمل للندوة ، وانتهوا الى تقارير والى توصيات كان من ضمنها « اصدار مجلة دراسات تاريخية ، تكون محكا للافكار ، وميدانا لعرض الآراء الجديدة كيما يثبت الصحيح منها بعد مناقشته » . ولقد مضى العمل بطيئا في مراحله الاولى. قامت لجنة الاشراف بطباعة كل ما تم في الندوة ، من عرض لفكرة كتابة تاريخ العرب في موسوعة تكون مرجعا شاملا ، وتقديم للمشروع المقترح ورقة عمل ، ثم اثبات كل ما انتهت اليه الندوة من تقارير وتوصيات ، واصدرته في كراس ، ووزعته على المختصين من المؤرخين ورجال الفكر ، والمهتمين بالقضايا القومية في البلاد العربية ، وشفعت كراسها بكتـاب يوضح المكانة الهامة التي يحتلها مثل هذا المشروع الكبير ، واهابت بحملة الاقلام من رجال الفكر والتاريخ العرب ان يغذوا مجلة (دراسات تاريخية) ببحوثهم ودراساتهم ومقترحاتهم ، وكل ما يعين على اخراج هذا المشروع العظيم الى حيز التنفيذ .

ان صدور العدد الاول من مجلة (دراسات تاريخية) ، وهو باكورة عملنا ، يحمل في طياته كل تباشير التفاؤل والامل في ان تمضي المجلة الى غايتها مسددة الخطا ، في طريق قاصد ، ترفدها في مسيرتها العلمية اقلام الباحثين والدارسين من المؤرخين والمفكرين العرب ، يرون فيها المجال الرحب للتعبير عن ارائهم وافكارهم حول موضوع من اجل الموضوعات ، واجدرها بالاهتمام والعناية لما له من انعكاس كبير على مجمل حياتنـــا الانسانية والقومية .

ان تلاقح الافكار ومناقشة الاراء وتقليب النظرات على صفحــات المجلة ستكون حافزا محركا ، واداة عطاء لتنضم الجهود المبـــددة ، وتتقارب الافكار وتتعارف ، فيثبت منها ماهو جدير بالحياة والنمو ، وينتفي منها ماهو مصنوع ، لايستمد نسغه من تربة الحق والصدق .

نرجو ان تحمل الاعداد التالية من المجلة ايضاحات اكبر وتطبيقات اوسع لانارة الفكرة التي تنادي بها وتدعو اليها ، وان تتلقى من المؤرخين ورجال الفكر بحوثا ومقترحات ودراسات توازي عظم الفكرة التيصدرت المجلة لتبشر بها ، وتستكثر من دعاتها ومؤيديها .

د . شاكر الفحّام

انتشار الإسلام في الخليج في زمن الرسول الكريم

ملاحظات ومنطلقات للدراسة

د . نبيه عاقل

عميد كلية الاداب بجامعة دمشق

ان مافي المصادر الأولية من معلومات حول موضوع انتشار الاسلام في الخليج زمن الرسول صلى الله عليه وسلم يعطي صورة قد تكون مرضية للمؤرخ الذي يكتفي من التاريخ بأن يكون عرضا لما يقع له من معلومات حول الحادث دون ان تثير هذه المعلومات في ذهنه التساؤلات التي لابد من جواب واضح عليها لتكون الصورة متكاملة الجوانب لايغشاها اللبس أو الغموض، او لتكون هذه المعلومات منطلقا في اشادة البنيان التاريخي المتين بكافة أبعاده ومستلزماته ، وجميع ما أحاط به من ظروف في الداخل والخارج أدت في نهاية المطاف الى اعطائه الشكل الذي اتخذه ، والذي كان لابد وأن يتخذه .

وليس بخاف ان السبيل الأول في الدراسة التاريخية ، سبيل تجاوزه الزمن ، ولم يعد الباحث المحدث مجرد منسق لما في مصادره من روايات حول الحادثة موضوع اهتمامه يعرضها امام قارئه وكأنه يقول له : اليك ما وجدت والمسؤولية على من قال . وكما أنه من الطبيعي ألا تكون الصعوبات والثغرات في المعلومات التي يصادفها الباحث في تاريخنا العربي الاسلامي واحدة ، فانه من الطبيعي أيضا ان تكون لكل باحث اهتماماته التي يحاول ان يعطيها نصيبا أكبر من جهده في البحث .

من هذا المنطلق في المنهج اردنا أن يكون حديثنا عن انتشار الاسلام في الخليج زمن الرسول الكريم صلوات الله عليه ، لا عرضاً لاحداث واخبار

يجدها كل من يستطيع الوصول الى المصادر الأولية التي تتناول الموضوع بالبحث ، ولكن محاولة في طرح بعض الملاحظات والمنطلقات التي نعتقد أنها اساسية في هذه الدراسة التي تقصد الى ازاحة بعض الغبار عما نسيه الذين سبق وكتبوا في هذا الأمر والى التذكير ببعض الملابسات والظروف التي أعطت أمر انتشار الاسلام في الخليج زمن الرسول المسار الذي اتبعه، والى اجلاء بعض ما في الروايات من غموض أو تناقض أو الاشارة الى ما لم نستطع أن نكشف ستره أو نصل فيه الى جواب .

ان ماهو متعارف عليه من أمر انتشار الاسلام في شرق الجزيرة العربية مرتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة عالمية الدعوة اذ أن رسالة محمد بن عبد الله (هي للناس كافة) وليس لفئة أو شعب أو أمة . ويفرض هذا الا تكون خطى الرسول في هذا السبيل متعجلة ، اذ لا بد له من السير صعداً فيبدأ بعشيرته الاقربين ، وينتقل الى من يليهم في القربى والدار حتى يصل الى اطراف الجزيرة وما يليها من امم ودول . كما أنه من الطبيعي الا يبدأ دعوته خارج الحجاز الا بعد استقامة عود دولته الفتية التي أقامها في يثرب التي غدت عاصمة الدولة الجديدة ومنطلق نشاطاتها في كافة الميادين . وتحدد المصادر (كابن سعد ، وابن هشام ، والطبري ، وابن حبيب ... وسواهم) . موعداً لهذا النوع من النشاط انصراف الرسول من الحديبية. وفي طبقات ابن سعد فصل خاص يحدثنا فيه عن رسل محمد ابن عبد الله بعد منصرفه من الحديبية الى ملوك وامراء الدول المجاورة والكتب التي حملوها اليهم ممهورة بخاتم الرسول ، والاجوبة التي عادوا بها . وعندي أن هذا الذي يقوله ابن سعد وتوافقه عليه بعض المصادر يحتاج الى شيء من التدقيق . لان مايذكره ابن سعد في طبقاته (جـ١ ، ص٢٥٨ ومابعدها) يبدو وكأنه عملية خطط لها تخطيطاً مسبقاً وحدد زمانها ورجالها ومهمة كل منهم قبل خروجه صلوات الله عليه الى الحديبية . ففي نص ابن سعد مايلي : « ... قالوا : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست ارسل الرسل الى الملوك يدعوهم الى الاسلام ، وكتب اليهم كتباً .. فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد ، وذلك في المحرم سنة سبع وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم ... » وواضح من هذا النص أن الفاصل الزمني بين عودة الرسول من الحديبية وانطلاق الرسل الستة لايتجاوز بضعة أيام (نهاية ذي الحجة

سنة ٦ ، بداية المحرم سنة ٧) . وأمر كهذا لايهيأ في أيام قليلة ، اذا صح النص ، ولاسيما ان كل رسول أرسل الى قوم أصبح « يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم » وهذا أيضاً أمر لايتم بين يوم وليلة .

ومن مقارنة هذه الرواية برواية مماثلة عند الطبري نجد أن ابن سعد قد ادخل جزءاً من الرواية الاصلية بجزء تال فخرجت روايته مشوهة اذ أن الرواية الأصلية التي تتحدث عن بعث الرسول لهؤلاء الستة تذكر أن الرسول جمع أصحابه وقال الهم : « اني بُعثت رحمة وكافة فأدوا عني يرحمكم الله ، ولا تختلفوا علي كاختلاف الحواريين على عيسى ابن مريم . قالوا : يارسول الله ، وكيف كان اختلافهم ؟ قال : دعا الى مثل مادعوتكم اليه ، فأما من قرب به فأحب وسلم ، وأما من بعد به فكره وأبى ، فشكا ذلك منهم عيسى الى الله عز وجل فأصبحوا من ليلتهم تلك ، وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين بعث اليهم . فقال عيسى : هذا أمر قد عزم الله لكم عليه ، فامضوا » .

ثم يتابع الطبري حديثه فيقول : « قال ابن اسحق : ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ، فبعث سليط بن عمرو . . . وعمرو ابن العاص الى جيفر بن ُجلندى وعباد ابن ُجلندى الازديين صاحبي عمان . . . . » (الطبري ج ٢ ، ص ٦٤٥) .

وواضح من كل ذلك أن مايذكرهابن سعد منأن كل واحد منمبعوثي الرسول الستة « أصبح يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم » هو خلط بين ماجاء عن حواري عيسى في الرواية الاصلية وما ادعاه ابن سعدخطأعن مبعوثي الرسول الستة. يضاف الى ذلك ان ذكر عمرو بنالعاص بينموفدي الرسول الستة الى الملوك والامراء أمر لايستقيم والحقائق الثابتة ، لأن عمرواً لم يسلم الا سنة ثمان ، ولا يعقل أن يرسل وهو على الشرك ليدعو الى الاسلام . هذا فضلا عن انه اذا كان النص صحيحاً فالأمر يعني دونما شك أيضاً ان الإعداد لهؤلاء الرسل كان قبل التوجه الى الحديبية. ولست اشك بأن الظروف الداخلية لدولة الرسولفيهذه الفترة السابقة للحديبية لم تكن تسمح له بأن يخطط لفتح حوار وجبهات خارج حدود الجزيرة وفي أطرافها في فترة لم تكن حتى الحجاز قد دانت له بشكل تام . ولهذا كله يظل في رأيي ان مايقوله الطبري من ان رسول الله قد ارسل رسلهالىملوك العرب والعجم فيما بين الحديبية ووفاته ، هو القول الأصح ، لأن فيه من

الواقعية والدقة مايتناسب والوضع الداخلي لدولة المدينة (انظر الطبري جـ ٢ ، ص ٦٤٥) .

وأياً كان فلست أريد هنا أن أناقش كامل محتوى نص ابن سعد هذا فقد قمت بذلك في موضع آخر (انظر كتابنا : تاريخ العرب القديم وعصر الرسول . دمشق ١٩٦٩ ، ص ٥٣٧ وما بعدها) ولكني أريد القـول أن منطلقاً أساسياً من منطلقات دراستنا لانتشار الاسلام زمن الرسول لابـد وأن يكون التلازم بين الظروف الداخلية لدولة المدينة والمراحل التي قطعتها الدعوة الى الاسلام داخل الحجاز وخارجه ، والأوضاع في المناطـق التي وجه الرسول اليها الدعاة . وبذا تنتفي فكرة الزمن المحدد سلفا لانطلاق هؤلاء الدعاة التي يطرحها ابن سعد ، كما ينتفي أنهم انطلقوا في وقت واحد الى مختلف الجهات . وينقلنا هذا الى وجوب تحديد مواقع القبائل التي وجدت زمن الدعوة الـى الاسلام بالنسبة لمكة والمدينة مـن جهة ، والى استقصاء موعد تماسها الأول مع الاسلام من جهة اخرى .

انتشار الاسلام في شرق الجزيرة :

ولما كان بحثنا مقصورا على القبائل التي كانت تنـزل فيما نسميه اليوم بالخليج العربي فاننا سنحدد بعض الحقائق الأساسية التي نعتقدانه لابد من اخذها بعين الاعتبار حين نبحث أمر انتشار الاسلام بين هذه القبائل بشكل عام وان ننتقل بعد ذلك لاستعراض مانجده في المصادر من اخبار علاقات الرسول الكريم بهذه القبائل وان نحاول عرضها على معايير النقد التاريخي .

وعنـدي ان الامر الاول الـذي لابد من اخـذه بعـين الاعتبـار هو انه لم يكن بين القبائل النازلة في جنوب وشرق الجزيرة العربية وبـين الرسول الكريم أي اتصال مهم حتى مابعد فتح مكة ، كما انه لم يكن على رأس هذه القبائل زعماء لهم وزنهم في الحياة السياسية العامة للجزيرة ممن يمكن أن يشغل بالهم مايحدث في الحجاز وما قد يكون له من تأثـير على زعامتهم او على تغيير الوجه السياسي للجزيرة ، وبالمقابل ايضاً لابد لنـا وأن نذكر أن هذا الأمر يصح على موقف الرسول من هـذه القبائل فهي بعيدة عن منطقة نفوذه ولاتشكل خطراً مباشرا عليه . واغلب الظن أن قضية عدم وجود زعماء ذوي خطر أو مكانة على رأس هذه القبائل هو جزء مـن

قضية أعم تتعلق بالتدهور السياسي والسكاني الذي كان يغلب على هذا الجزء من الجزيرة العربية الذي كانت أجزاء منه تقع تحت النفوذ الاجنبي أو تتقاسمه مطامع اجنبية ، هذا فضلا عما كان فيه من اخلاط سكانية وأديان سنعرض لها فيما بعد . وهكذا فأن أهم ملامح سياسة الرسول تجاه هذه القبائل وهذا الجزء من الجزيرة العربية قبل فتح مكة كان الاسلوب الدبلوماسي (ان صح التعبير) لأن ارسال حملات وبعوث عسكرية كان أمرا غير ممكن أو معقول اذا أخذنا بعين الاعتبار القوة العسكرية والوضع الداخلي لدولة الرسول من جهة ، والمرحلة التي تمر بها في صراعها مع قريش الذي كان يهدد وجودها ، والذي لابد من خسمه لصالحها قبل ان تنصرف الى ماعداه من أمور تأتي في مرتبة تالية . ويمكن ان نقول بشيء من التأكيد أن هذا الاسلوب الدبلوماسي استمر كاسلوب في التعامل في الفترة القصيرة التالية لفتح مكة ، كما سنرى من خلال مابين أيدينا من نصوص .

ان استعراض مانجده من معلومات حول هذا في فتوح البلدان للبلاذري (ط . الطباع) وتاريخ الطبري (ط . أبو الفضل ابراهيم) والمحبَّر لابن حبيب (ط . ايلزه ليختنشتتير)وابن سعد(ط. دارصادر) وابن هشام (ط . السقا) وسواها من المصادر يوضح بما لايقبل الشك أن اسلوب البعوث العسكرية الى قبائل منطقة الخليج وجنوب الجزيرة وشرقها بشكل عام لم يستعمل زمن الرسول اطلاقا ، وانه انما استعمل زمن أبي بكر وبعد أن قامت مشكلة الردة . وان ماجرى زمن الرسول كان يدخل ضمن نطاق العمل الدبلوماسي ويتمثل بشكل واحد تتفق عليه جميع المصادر وهو ارسال اشخاص من ذوي الدين والمقدرة على الافصاح والاقناع للدعوة الى الاسلام وشرح تعاليمه وما يستتبع الدخول فيه من حقوق وواجبات . وسأستعمل بعض هذه النصوص التي تفصح عن هذه الحقيقة لاناقش محتواها ، لا من هذه الزاوية فحسب، بل من بعض الزوايا الاخرى التي تثير بعض التساؤلات والاشكالات التي لابد من ابرازها أو ايجاد حل معقول لها .

يذكر البلاذري في فتوح البلدان في حديثه عن فتح عمان مايلي :«كان الأغلبين على عمان الازدَ ، وكان بها من غيرهم بشر كثير في البوادي ، فلما كانت سنة ٨ بعث رسول الله (صلعم) أبا زيد الأنصاري أحد الخزرج وهو

أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وبعث عمرو بن العاص السهمي الى عبد وجَيْفَر ابني الجُلَنْدِي (خطأوصحيحه الجُلَنْدَى) بكتاب منه يدعوهما فيه الى الاسلام . وقال : ان أجاب القوم الى شهادة الحق واطاعوا الله ورسوله فعمرو الامير وابو زيد على الصلاة وأخذ الاسلام على الناس وتعليمهم القرآن والسنن . فلما قدم ابو زيد وعمرو عمان وجدا عبداً وجيفراً بصُحار على ساحل البحر فاوصلا كتاب النبي (صلعم) اليهما فأسلما ، ودعوا العرب هناك الى الاسلام فأجابوا اليه ورغبوا فيه ، فلم يزل عمرو وأبو زيد بعمان حتى قبض النبي . ويقال ان أبا زيد قدم المدينة قبل ذلك » (ص ١٠٣ ــ ١٠٤) ويقول الطبري حول الموضوع نفسه وبعد حديثه عن فتح مكة : « وفيها (أي سنة ثمان للهجرة) بعث رسول الله (صلعم) عمرو بن العاص الى جيفر وعمرو ابني الجلندى من الازد مصدقاً ، فخليا بينه وبين الصدقة ، فأخذ الصدقة من اغنيائهم وردها على فقرائهم ، وأخذ الجزية من المجوس الذين بها ، وهم كانوا أهل البلد ، والعرب كانوا يكونون حولها . » (ج٣ ، ص ٩٥) . ويذكر البلاذري في موضع آخر رواية أخرى عن الموضوع نفسه يقول فيها : « وقد قال قوم : ان رسول الله (صلعم) كان وجه أبا زيد بكتابه الى عبد وجيفر ابني الجلندى الأزديين سنة ٦ ، ووجه عمروا في سنة ٨ بعد اسلامه بقليل .. وإن رسول الله (صلعم) قال لابي زيد خذ الصدقة من المسلمين والجزية من المجوس . » . (ص ١٠٥ ــ ١٠٦) .

ويتضح من دراسة هذه النصوص ان الرسول لم يرسل الى عمان سوى شخصين وان مهمتهما كانت الدعوة الى الاسلام وشرح مبادئه وتعليم الناس القرآن وتطبيق تعاليمه فأطاع من أطاع وخالف من خالف . وان من أطاع من العرب دفع الصدقة ، ومن اطاع من المجوس دفع الجزية وان ماتجمع من مال الاغنياء رد على الفقراء . وان هذا الامر كان سنة ثمان للهجرة ، لأن عمروا لم يسلم الا في تلك السنة . وهذا مايدحض الزعم الذي نجده في رواية ابن سعد التي أشرنا اليها آنفا والتي تقول ان رسل وبعوث الرسول الى الملوك والامراء قد انطلقت بعد صلح الحديبية ، أي حين كانت مدن الحجاز كمكة والطائف ماتزال على الشرك ، وقبائل نجد تهدد بالانقضاض عليه ، وهذا ما لا يستقيم أمام المنطق أو ما في الروايات من اخبار . ولابد لنا من التنبيه بأن هذه الروايات تشير بوضوح الى وجود

عناصر سكانية مختلفة في عمان في هذه الفترة بينهم العرب والمجوس . وان المجوس كانوا أهل البلد ، والعرب كانوا يكونون حولها . وان الفريقين لم يدينا بدين واحد ، وان ردود فعلهما تجاه الاسلام كانت مختلفة. وهذا أمر سنعود للتعليق عليه بشكل اوسع فيما يلي من بحثنا . كما علينا ان نلاحظ أن ماطلبه الرسول من مبعوثيه كان مقصورا على أن يقبل القوم الاجابة الى شهادة الحق واطاعة الله والرسول . واذا تم ذلك ، فأبو زيد باعتباره الصحابي القديم ومن حفظة القرآن ، فهو المسؤول عن الصلاة وأخذ الاسلام على الناس وتعليمهم القرآن والسنن ، أما عمرو وهو الذي لم يمض على اسلامه الا بضعة أشهر ، ولكنه الاداري المحنك ، فهو الأمير وواضح من كل ذلك ان مهمة الرجلين كما حددها الرسول كانت مهمة متواضعة تعتمد الاقناع لا الاجبار ، وترضى بما يقبله أهل عمان وتستبعد اكراههم على ما لا يرضون . وليس من شك في أن توقيت بعثة أبي زيد وعمرو بن العاص من الامور التي تدل على سعة أفق الرسول الكريم وبعد نظره . فقد اتت بعد فتح المسلمين مكة . ولفتح مكة ما له من دوي بين العرب ، الذين كانوا يعرفون مالهذا البلد من أهمية وما لقريش من نفوذ، فحين تدين مكة وقريش لمحمد ، فلا شك انه ذو مكانة وجاه ، وان قهره مكة واخضاعه سادتها من قريش لدليل ساطع على قوته ونفوذه وصدق رسالته . ولم تكن هذه السياسة الحكيمة التي تأخذ بأدق اعتبارالظروف الداخلية لدولة الاسلام واوضاعالقبائل التي يرسل اليها الرسول مبعوثيه للدعوة الى الاسلام قاصرة على منطقة الخليج فحسب ، بل كانت أسلوبه في التعامل مع جميع القبائل التي تنأى ديارها عن دياره ويريد لها أن تدين بالاسلام ، ودولته لم يشتد عودها بعد وتتهددها اخطار خارجية عديدة أهمها الخطر الذي تمثله بيزنطة على حدود الجزيرة في الشمال وفارسعلى حدود الجزيرة في الشرق وعبر الخليج . فقد كان صلوات اللهعليه فيبعض الظروف يقنعه اسلام فئة من قبيلة ما ، وأن تبقى فئات اخرى فيها غير مسلمة ، ولا يثنيه هذا عن تنظيم أمور هذه الفئة المسلمة ، بانتظار انيعم الاسلام بقية القبيلة . فابن سعد مثلا يحدثنا عن كتاب الرسول الكريمالى قيس بن سلمة بن شراحيل من قبيلة جعفي من اليمن الذي يقول له فيه : « إني استعملتك على مَران ومواليها وحَريم ومواليها ، والكلاب ومواليها من أقام الصلاة وآتى الزكاة وصدّق ماله وصفّاه » (ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٢٥) . ومعروف انمران وحَريم والكلاب بطون من جعفي، فجعفي

لم تسلم بكاملها ، بل اسلم أفراد من بعض بطونها واستعمل الرسول قيس ابن سلمة على « من أقام الصلاة وآتى الزكاة وصدّق ماله وصفّاه » ، أي على من قبل منهم بتعاليم الاسلام . ومصادرنا حافلة بأمثلة شبيهة اتخذ فيها الرسول مواقف مماثلة ، مما لانرى ضرورة لتعداده . ويوصلنا كل ذلك الى إثبات حقيقتين أساسيتين في موضوع انتشار الاسلام في الخليج هما :

١ ـ ان الدعوة للاسلام في الخليج لم تأخذ شكلا منظما الا بعد فتح مكة وهذا لاينفي طبعا ان يكون ذكر الاسلام قد سرى في تلك المنطقة قبل ذلك وان أفراداً أو جماعات صغيرة قد دخلت فيه وآمنت برسالة نبيه .

٢ ـ لم يستعمل الرسول اسلوب البعوث العسكرية في دعوته الى الاسلام في تلك المنطقة ، وان رسله اليها كانوا من ذوي الباع العريض في الدين ومن ذوي الخبرة في ادارة الامور ، كما ان الرسول استعمل مايمكن أن نسميه في لغة عصرنا بسياسة الخطوة خطوة التي تهدف الى ايجاد نواة للاسلام بين القبائل النازلة هناك،ومن ثم اتاحة الفرصة للاسلام كدين وكنظام في الحياة أن يثبت وجوده وقدرته على النماء واكتساب الانصار ، عن طريق القدرة الذاتية . وطبيعي أن هذا الاسلوب فرض نفسه على الرسول صلوات الله عليه اذا ما أخذنا بعين الاعتبار العوامل المختلفة والطابع الخاص للوضع البشري والجغرافي في تلك المنطقة .

ويتبين هذا الذي ذكرناه بشكل أكثر وضوحاً ودقة اذا ماتطرقنا لموضوع انتشار الاسلام بين القبائل النازلة في شرق الجزيرة وفي ماكان يطلق عليه اسم البحرين ، كما ترويه لنا المصادر المختلفة . واذا أخذنا بالتوزع الجغرافي للقبائل لوجدنا أننا اذا بدأنا بجنوب شرقي الجزيرة واتجهنا شمالا فان أولى القبائل التي لابد للتوقف عندها والحديث عنها هي قبيلة مَهْرَة بمكان يقال له جَيروت وعليه زعيم اسمه شخريت (من بني شخراة ، فرع من مهرة) وقسم يمثل الغالبية عليهم زعيم يقال له المُصَبَّح (من بني محارب ، فرع آخر من مهرة) (انظر ، الطبري جـ ٣، ص ٣١٦ ـ ٣١٧) . ويبدو أن الاسلام انتشر بين أقلية ضئيلة من الجماعة التي يراسها شخريت الذي مالبث انارتد ، أما القسم الاخر الذي يراسه المُصَبَّح « والناس كلهم معه ، الا ماكان من شخريت » (الطبري، جـ ٣، ص ٣١٧ » فقد رفضوا الاسلام وظلوا كذلك حتى كانت خلافة ابي بكر

فخرج عكرمة في جنده نحومهرة واقتحم عليها بلادها ،ودعا شخريت والقلة التي كانت قد آمنت وارتدت أن يرجعوا الى الاسلام ، فأجابه شخريت واستطاع عكرمة أن ينتصر على المَصَبَّح وان يجبره ومن معه من جموع مهرة على الانصياع . ويوضح هذا الذي يذكره لنا الطبري ، وسواه من المؤرخين ان مهرة ، وهي التي تسكن الجنوب الشرقي من الجزيرة وتمتد ديارها على النجد ورياض الروضة ، وساحل الخليج وبعض جزره ، ومنطقة ينعب وذات الخيم وسواها ، لم يصلها الاسلام الا في اخريات حياة الرسول صلوات الله عليه ، ولم يكن له فيها آنذاك أي وجود قوي . وظل حالها كذلك حتى كانت خلافة أبي بكر . ويبدو ان السبب الرئيسي لذلك هو بعد ديار مهرة عن المدينة وقلة مابينهما من صلات . كما يبدو ان اسلام الفئة القليلة من مهرة تم في عام الوفود ، اذ يذكر ابن سعد في طبقاته خبرا عن شخص من مهرة اسمه زهير بن قِرضم وفد الى رسول الله في ذلك العام وهو من منطقة الشحر التي كانت تنزلها فروع من مهرة ، « فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنيه ويكرمه لبعد مسافته ، فلما أراد الانصراف ثبته وحمله وكتب له كتابا » (ابن سعد، جـ ١ ، ص ٣٥٥) وقول ابن سعد هذا دليل آخر على صدق ماذهبنا اليه من أن سبب عدم انتشار الاسلام في تلك المناطق كان بعدها عن المدينة ، وان الرسول أراد أن يكرم المهري هذا بشكل خاص فحمله بالهدايا كما ذكر ابن سعد .

واذا ماانتقلنا الى قبيلة الازد التي كانت بعض بطونها تنزل في عمان والتي أسلفنا الحديث عنها لوجدنا ان مشكلة البعد الجغرافي عن المدينة هي المنطلق الاساسي الذي لابد من أخذه بعين الاعتبار حين نتحدث عن موضوع انتشار الاسلام بين بعض افرادها مع فارق واحد هو أن وضع بطون الازد التي كانت تنزل منطقة عمان قد سهل مهمة مبعوثي الرسول، اذ يبدو أن ازد عمان لم يكونوا جبهة واحدة ، يحكمهم زعيم أو شيخ واحد يدينون له بالطاعة . ويبدو أن جيفرا وأخاه عبدا (أو عباداً) كانا يتزعمان الفئة من الازد التي تقيم « بصحار على ساحل البحر . » (اي الخليج) (فتوح ، البلاذري ، ص ١٠٤) ، وانهما انما قبلا الاسلام لظروف داخلية أو ربما كانا هما اللذين اتصلا بالرسول بسبب هذه الظروف الداخلية (Watt - Muh. at Medina, ed. 1956, p. 131) علهما يجدان في الاسلام نصيراً لهما على أعدائهما من بقية بطون الازد المجوس الذين كانوا يساكنونهم . ويدّعي وات (Ibid - Loc. cit.) ان منطقة عمان كانت تمر في هذه

الفترة بمرحلة من الاضطرابات الاجتماعية ، وان هذا الوضع الداخلي هو الذي حدا بجيفر وعباد ان يستنجدا بالاسلام . على أن وات لايقدم أي حجة مقبولة لدعم وجهة النظر هذه ، ويذهب الى القول انه ربما كان السبب في ذلك الاضطراب الوضع المتردي الذي كانت تعاني منه فارس في هذه المرحلة من تاريخها . ورغم ان وات لم يقدم بين يدي فرضيته مايدعمها فإنا نرى أن في ادعائه شيئا من صحة . ولتوضيح وجهة نظرنا هذه لابد لنا من ان نذكر ببعض الحقائق عن الوضع الدولي آنذاك وصلات منطقة الخليج بفارس من جهة ، ومن جهة ثانية لابد لنا من العودة الى النصوص التي بين ايدينا والتي تتحدث عن التركيب السكاني لمنطقة عمان وما كان فيها من عرب ومجوس .

ولا بد لتوضيح النقطة الاولى من هذه النقاط الثلاث وهي قضية الوضع الدولي في هذه المرحلة ان نذكر ان فارس وبيزنطة كانتا منذ ان تسلم الامبراطور البيزنطي هيراكليوس عرش بيزنطة في صراع على السطلة استنفذ قوى الطرفين . ولكن الضربات المتلاحقة التي انزلتها بيزنطة بفارس منذ سنة ٦٢٣ م/٢ هـ كانت قد اضعفت فارس الى حد كبير . وقد استطاع هيراكليوس بعد أن صد الهجوم الآفاري على عاصمته سنة ٦٢٦ م/٥ هـ ان يوجه همه ويحشد قواه لضرب الفرس ضربة قاصمة . وفي خريف سنة ٦٢٧ م/٦ هـ سار هيراكليوس بجيوشه لمهاجمة العاصمة الفارسية . وفي كانون الاول عام ٦٢٧ م كان الامبراطور البيزنطي على أبواب نينوى . وفي هذا الموقع خاض الطرفان معركة كبيرة قررت مصير الصراع بين فارس وبيزنطة . فقد قضى البيزنطيون تقريبا على الجيش الفارسي وسجلوا نصرا كبيرا على اعدائهم . وتابع هيراكليوس بعد هذا النصر زحفه فاحتل في مطلع سنة ٦٢٨ م/ ٧ هـ مدينة داستغرد Dastagerd المدينة المحببة جدا الى قلب كسرى الفارسي وفر كسرى من المدينة . وفي ربيع سنة ٦٢٨ م / ٧ هـ تطورت الحوادث داخل فارس تطورا جعل القتال امرا لافائدة منه . فقد خلع كسرى وقتل ، واجلس على العرش ابنه كافاذرشيرو Kavad - Shiro (قباذ) . وعقد كسرى الجديد معاهدة مع البيزنطيين قبل فيها بما املوه عليه من شروط . وبنتيجة

هذه المعاهدة ضمنت بيزنطة عودة ماكان يخصها من أراض : كأرمينية والجزء البيزنطي من منطقة مابين النهرين وسورية ومصر ، التي عادت للتبعية البيزنطية ، كما كان الحال في السابق . وبعد شهور قليلة ، وحين كان قباذ على فراش موته ، عين الامبراطور البيزنطي وصياً على ولده الصغير ، وهكذا انقلب الحال ، فبعد ان كان كسرى يدعو هيراكليوس بعبده ، أعلن قباذ ان هيراكليوس هو سيد ابنه وسيد فارس. وعاد هيراكليوس بعد هذه الانتصارات الى عاصمته تتوجه اكاليل الغار ليستريح قليلا ثم عاد الى القدس ، ووسط مظاهر احتفال مهيب اعاد نصب الصليب المقدس الذي كان الفرس في حروب سابقة قد نهبوه ، واضفى بذلك صبغة دينية على حروبه ضد فارس . (من اجل العلاقات بين فارس وبيزنطة (انظر كتابنا ، الامبراطورية البيزنطية ، دراسة في التاريخ السياسي والثقافي والحضاري ، ط . دمشق ١٩٧٠ ص ٨٩ ــ ٩٢) .

وهكذا فقد كان لهذا الانكسار الشنيع امام بيزنطة وللبلبلة الداخلية وما نجم عنها من سقوط حكم كسرى وقيام حكم كسرى آخر ، ووقوف فارس من بيزنطة موقف التابع من السيد ، الامر الذي توضحه وصية قباذ بأن يكون هيراكليوس الوصي على ابنه وولي عهده ، وعودة النفوذ البيزنطي الى منطقة مابين النهرين المتاخمة لمنطقة الخليج التي نحن بصدد الحديث عنها ، كلها من الامور التي لعبت دونما شك دورا حاسما في اضعاف النفوذ الفارسي في هذه المنطقة التي تنزلها قبائل عربية تدين بالولاء والسيادة لفارس من جهة ، كما تسكنها عناصر فارسية بينها وبين القبائل العربية نزاعات وصراعات . وقد يكون هذا الذي قدمناه مبررا لما أشار اليه وات واسماه Social unrest دون ان يقدم له مايبرره . كما اننا نستطيع ان نجد المبرر لهذا الاضطراب الاجتماعي في الضعف السياسي لدولة فارس الذي شرحنا بعضا من ظروفه فيما سلف . اما فيما يتعلق بالتركيب السكاني لهذه المنطقة ، فاننا نلاحظ ان المصادر تشير الى نوعين من السكان في منطقة عمان هما : العرب والمجوس ، وان « المجوس كانوا اهل البلد والعرب كانوا يكونون حولها » (الطبري ، جـ ٣ ، ص ٩٥ ، البلاذري ص ١٠٦) وكانت بعثة ابي زيد الانصاري وعمرو بن العاص الى العرب فقط اما المجوس فلم يطلب منهم

سوى دفع الجزية (انظر البلاذري ، ص ١٠٤ والطبري ، جـ ٣ ص ٢٩ ، وابن سعد ، جـ ١ ، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ وسواها) . وهذا مما يثير الانتباه لان المفروض ان تكون الدعوة للناس كافة وليس للعرب فحسب ، الامر الذي يجعلنا نعتقد ان مهمة ابي زيد وعمرو بن العاص كانت مهمة محدودة من جهة ، او ربما كانت بناء على طلب من جيفر واخيه عباد كما ألمحنا آنفا ، لظروف داخلية كانت تعيشها قبيلة الازد ، لذا اراد هذان الزعيمان ان يثبتا مركزهما بدعم من الرسول الذي كان قد فرغ لتوه من فتح مكة واخضع قريش وفشا ذكره بين قبائل العرب كزعيم لايقهر ، الى جانب ما له من صفة النبوة . وقد يؤكد زعمنا هذا ان المصادر تجمع على بقاء عمرو وابي زيد في عمان الى ان قبض الرسول فعادا الى المدينة (انظر البلاذري ، ص ١٠٤ ، الطبري جـ ٣ ، ص ٢٥٨، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٢٦٣) . وبقاؤهما في عمان حتى موت الرسول كان لدعم مركز جيفر وعباد اللذين يمثلان الجهة المؤيدة للرسول ضد الحزب المعادي والذي كان يتزعمه لقيط بن مالك الملقب بذي التاج . ويبدو ان جيفرا وعبادا كانا يتزعمان منطقة صحار في حين ان لقيطا كان يتزعم منطقة دبا وهي كما يقول الطبري « المصر والسوق العظمى » (جـ ٣ ، ص ٣١٥) ، الامر الذي يوضح ضعف مركز الفئة المسلمة التي كانت تسيطر على رقعة صغيرة هي منطقة صحار المتاخمة للبحر ، في حين ان الفئة التي كانت يتزعمها لقيط كانت تسيطر على الرقعة الاعظم والاهم . وطبيعي ان يظل جيفر وعباد على اسلامهما حتى كانت الردة ، وان يساعدا جيوش ابي بكر التي انطلقت لقتال المرتدين وكان النصر لهما على عدوهما لقيط . على انه لابد لنا من الاشارة . ونحن في هذا الجزء من بحثنا الى مافي المصادر من اضطراب في الروايات تثير قلق الباحث وتساؤلاته التي لايجد لها جوابا . ففي الطبري رواية وحيدة لانستطيع تبين ماذا كان راويها هو الواقدي او ابن اسحق تقول ان الرسول بعث سنة ثمان للهجرة « عمرو بن العاص الى جيفر وعمرو ابني الجلندى من الازد مصدقا ، فخليا بينه وبين الصدقة . . . » (الطبري ، جـ ٣ ، ص ٩٥) . وهذه هي المرة الوحيدة التي نسمع فيها باسم عمرو بن الجلندى ، اذ ان كل الروايات الاخرى تتحدث عن عبد أو عباد ابن الجلندى اخي جيفر . وامر آخر يثير الانتباه والتساؤل حول

الموضوع نفسه هو مانقرأه في الطبري أيضا واثناء حديثه عن احداث سنة ١١ هـ وهو قوله : « حدثني السري ، قال حدثنا شعيب ، عن سيف عن الحجاج عن عمرو بن شعيب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث عمرو بن العاص الى جيفر ، منصرفه من حجة الوداع ، فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرو بعمان ... » (الطبري ، جـ ٣ ، ص ٢٥٨) . ولسنا نعرف ماالذا كانت بعثة عمرو هذه بعثة ثانية الى جيفر ، اذ ان حجة الوداع كما هو معروف حدثت سنة عشر للهجرة ، في حين ان جميع المصادر الاخرى تجمع على ان بعثة عمرو الى جيفر وعباد كانت سنة ثمان وان عمرواً بقي في عمان حتى وفاة الرسول . وفي مكان ثالث ينقل لنا الطبري خبرا عن ابن اسحق يسمي فيه مبعوثي الرسول الى القبائل العربية والملوك الاجانب بمبعوثيه الى « ملوك الخائنين » (الطبري ، جـ ٢ ، ص ٦٤٥) . وليس في سياق الخبر مايفهم منه ماالذا كانت هذه التسمية هي صفة اطلقها راوي الخبر على هؤلاء الملوك ، أم ان الرسول نعتهم بذلك . واغلب الظن ان هذا الوصف من وضع راوي الخبر ، وليس من كلام الرسول ، وانه وصف متأخر لان الراوية المسلم اعتبرهم خونة لموقفهم من الاسلام الدين الحق الذي لابد وان يقبل به كل الناس ، ومن لايقبل به فهو خائن حتما . وهذه ليست الا امثلة قليلة على مايجده الباحث في المصادر من اضطراب في الروايات وتساؤلات لايجد لها جوابا مباشرا مقبولا .

اما اذا انتقلنا الى موضوع انتشار الاسلام بين القبائل التي كانت تنزل في ما يسمى بالبحرين فاننا نلاحظ ان الوجود الاسلامي في هذه المنطقة (البحرين) كان اوضح مما كان عليه في منطقةعمان . وكانتتنزل البحرين قبائل عربية عديدة أهمها : قبيلة عبد القيس وهي صاحبة الكثرة والعدد ، وفيها بعضمن بكر بنوائل وتميموسواها. وكانت أرضالبحرين، على ما يذكر البلاذري (الفتوح ، ص ١٠٦) ، تتبع مملكة الفرس ، وكان يسكنها الى جانب العرب أخلاط من الفرس والمجوسواليهود والنصارى، ويبدوانالقبائل العربية كانت تنزلالبوادي،وان المجوسوالنصارىواليهود كانوا ينزلون الحواضر (انظر البلاذري ، ص ١٠٧) ويبدو ان التبعية للفرس من جهة ، والتركيب السكاني المختلط من جهة اخرى كانا من اهم العوامل التي دفعت بعض عر بالبحرين للاتصال بالرسول علهم يجدوا في

الاســلام خلاصا مما هـ م فيه من حكم اجنبي لارضهم واخلاط بشرية تزحم ديارهم وتخبط عقائدي يجعلهم في صراع بين مجوسية ونصرانيــة ويهوديــة ووثنية . ويفهم من رواية يذكرها ابن سعد ان صلــة الرسول بعرب البحرين كانت قبــل فتح مكــة . وان اول وفد من بكر بن وائل زار المدينــة واقام حوارا مع محمــد كان عــام الفتح (انظر ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣١٤) . وكان بين رجالات هــذا الوفد من هم على النصرانية (المصدر السابق ، ص ٣١٥) فأسلموا وحسن اســلامهم ، ممــا يدل على وجود عــرب نصارى بين قبــائل شرقي الجزيرة والخليج قبــل الاســلام . كما ان بعضهم فــارق قومه وبــاع ماله وجاء الى المدينــة مسلمــا وملتجئا الى الرسول لينجو من الحــال المتردية التي آلــت اليها البحرين في هذه الفترة . (انظر ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣١٥) .
على ان مانجده من معلومات في مصادرنا عن البحرين وسكانها قليل ولا يلقى ضوءا كافيا على حالهــا السياسية والبشريــة والاحداث الداخلية التي قامت فيهــا قبل الاسلام وفي فترة تنزل الوحي على الرسول الامين . على انه يمكن القول بشيء من التأكيد ان البحرين كانت منــذ حكم اردشير منطقــة صراع فارسي عربي وان عرب البحرين قبــل حكم أردشير كانوا من القوة بحيث تطلعوا الى تحرير عرب العراق من النير الفارسي (انظــر الطبري ، جـ ١ ، ص ، ٦٠٩ ــ ٦١١) لاسيمــا وان فــارس قبل اردشير كانت تمر بمرحلــة من التمزق والضعف بسبب من أوضاعها وانقساماتها الداخليــة من جهة ، وبسبب صراعها مــع بيزنطــة كما بينا آنفا من جهة اخرى . كما ان تاريخ عرب البحريــن مع حكام فــارس تاريخ حافل بالدماء . ففي عهــد سابور ذي الاكتاف حين كــانت بلاد العرب ، على مايقول الطبري : « ادنى البلاد الــى فارس ، وكانوا (أي الفرس) من احوج الامم الى تناول شيء مــن معايشهم وبلادهم لسوء حالهم وشظف عيشهم ، فسار جمع عظيم منهم في البحر من ناحيــة بلاد عبد القيس والبحرين وكاظمة حتى انــاخوا على إبرشهر وسواحل اردشير خرّة وآسية ففارس ، وغلبوا أهلها علــى مواشيهم وحروثهم ومعايشهم واكثروا الفســاد في تلك البلاد فمكثوا على ذلك من امرهم حينا . . . » (الطبري ، جـ ٢ ص ٥٥) .

ولما بلغ سابور السادسة عشرة من عمره « انتخب الف فــارس من

صناديد جنده وابطالهم وتقدم اليهم في المضي لامره ، ونهاهم عن الابقاء على من لقوا من العرب ، والعرجة على اصابة مال ، ثم سار بهم فأوقع بمن انتجع بلاد فارس من العرب وهم غارّون ، وقتل منهم أبرَح القتل وأسر اعنف الاسر ، وهرب بقيتهم ، ثم قطع البحر في اصحابه ، فورد الخط ، واستقرى بلاد البحرين يقتل اهلها ولا يقبل فداء ، ولا يعرج على غنيمة . ثم مضى على وجهه ، فورد هجر ، وبها اناس من اعراب تميم وبكر بن وائل وعبد القيس . فأفشى فيهم القتل . وسفك فيهم من الدماء سفكا سالت كسيل المطر ، حتى كان الهارب منهم يرى انه لن ينجيه منه غار في جبل ولا جزيرة في بحر ، ثم عطف الى بلاد عبد القيس فأباد اهلها الا من هرب منهم فلحق بالرمال ، ثم اتى اليمامة فقتل بها مثل تلك المقتلة ، ولم يمر بماء من مياه العرب الا عَورّه (١) ولا جب من جبابهم إلا طمّه » .. (الطبري ، ح ٢ ، ص ٥٧) وهذا الوصف لعلاقات فارس مع منطقة البحرين وما لقيت هذه المنطقة من ظلم وجور وتقتيل وتشريد على يد الفرس قد يكون فيه التفسير لبعض ما ذكرناه عن حال البحرين إبان انتشار الاسلام في الجزيرة . وفيه الجواب على سكنى القبائل العربية للبوادي وترك الحواضر لاخلاط السكان من غير العرب . كما ان فيه الجواب على محاولات عرب البحرين المبكرة للاتصال بالرسول الأمين علهم يجدون في ظل الاسلام الملاذ مما آلت اليه حالهم من ترد وانهيار . على انه تظل هناك أمور غامضة لانجد في مصادرنا جواباً شافياً لها . ومن ذلك مثلا قضية العلاقة بين من كانوا يسكنون منطقة هجر من الاعراب ومن كانوا يسكنون البحرين ولماذا تتحدث المصادر عن جهود الرسول في نشر الاسلام بين عرب هجر وعرب البحرين معا وضمن فصل واحد . فابن سعد مثلا يتحدث في فقرتين متلاحقتين عن رسالة الرسول الكريم الى صاحب « البحرين » ورسالته الى « صاحب » هجر (ابن سعد ، ح١ ، ص ٢٧٥) . والبلاذري يتحدث عن بعث الرسول للعلاء الحضرمي ليدعو أهل البحرين وأهل هجر الى الاسلام أو الجزية (البلاذري ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧) . فهل كانت هناك من رابطة أو صلة خاصة بين هجر والبحرين ؟ أم هل الأمر صدفة ودونما سبب ؟ اغلب الظن أن التفسير الممكن هو ان عرب كلا المنطقتين كانوا يخضعون للسيطرة الفارسية وان المقصود بصاحب البحرين

(١) عوره : (أي طمه وكبسه بالتراب) .

او صاحب هجر هو الحاكم الفارسي على عرب هذه المنطقة أو تلك . على ان الذي يظل دونما حل هو ماتجمع عليه المصادر من أن حاكـم البحرين من قبل الفرس زمن الرسول كان المنذر بن ساوى وهو الذي وجـه اليه الرسول مبعوثه العلاء بن الحضرمي سنة ثمان للهجرة يدعوه وصحبه الى الاسلام ، إلا ابن سعد الذي ينفرد بذكر حديث عن كتاب أرسله الرسول الى شخص أسمه الهلال ويصفه بأنه كان صاحب البحرين (أبن سعد ، ج١ ، ص ٢٧٥) ويطلب اليه فيه أن يعبد الله وحده وأن يؤمن بالله ويطيع ويدخل في الجماعة . دون أن يبين لنا شيئاً عن اخبار الهلال هذا ولا منطقة حكمه ولا نوعية صلته بالمنذر بن ساوى . وقد يكون من الممكن ان الهلال هذا لم يكن « صاحب » البحرين بمعنى حاكمها ، بل كان وجها بارزاً من وجهائها ، ظل على الشرك وأراد الرسول صلوات الله عليــه ان يرغبه في الاسلام ويضمه اليه .

ويبدو مما تذكره المصادر أن بعثة العلاء بن الحضرمي الى البحرين لاقت قبولا بين عدد كبير من العرب سكان البوادي « اما أهل الارض مـن المجوس واليهود والنصارى فانهم صالحوا العلاء » على الجزية اذ أخـذ من كل حاكم دينارا (البلاذري ، ص ١٠٧) ولم تكن الاستجابة لدعـوة العلاء عرب البحرين وهجر الى الاسلام استجابة شاملة . اذ يذكر العلاء ذلك ويقول : « بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البحرين ،أو قال هجر . وكنت آتي الحائط بين الاخوة قد اسلم بعضهم فأخذ من المسلم العشر ومن المشرك الخراج » ، (البلاذري ، ص ١٠٨) الأمر الذي يوضح أن بعضهم قبل الاسلام ، وبعضهم ظل على الشرك ولم يؤد ذلك الى اصدار الرسول أمره بقتال من لم يسلم من أهل البحرين ، اذ يقول البلاذري انه « لم يكن بالبحرين أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال ، ولكـن بعضهم اسلم ، وبعضهم صالح العلاء على انصاف الحب والتمر »(البلاذري، ص ١٨) الأمر الذي يؤكد ماذهبنا اليه في مطلع بحثنا من أن الرسول في هذه المرحلة من دعوته وفي هذا الجزء من الجزيرة العربية استعمل الاسلوب الدبلوماسي والدعائي في الدعوة الى الاسلام. ولم يأخذ بأسلوب القوة سبيلا لنشر دين الله. وقد حدد الرسول في أحد كتبه الى المنذر بن ساوى من هو المسلم وما يترتب عليه ، ومن هو غير المسلم وما يترتب عليه ، اذ يقول له : من محمد النبي الى المنذر بن ساوى : سلم انت ، فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، اما بعد ، فان كتابك جاءني وسمعت مافيــه ، فمـن صلى

صلاتنا ، واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم . ومن ابى ذلك فعليه الجزية » (البلاذري ، ص ١١٠) . ويبدو أن العلاء بن الحضرمي لم يكن داعية فحسب ، بل كان مفوض الرسول الاداري في منطقة البحرين وهجر اذ مالبث بعد انتشار الاسلام بين فئة من عرب هذه المنطقة أن اخذ الزكاة ممن أسلم والجزية من المجوس واليهود وارسل ماتجمع لديه من مال وهو ثمانين ألفاً الى الرسول ، ماأتاه أكثر منه قبله ولابعده . ويبدو أن الرسول عزل العلاء عن ولاية البحرين في اخريات حياته وولاها أبان بن سعيد بن العاص بن أمية الذي ظل يليها حتى وفاة الرسول .وعاد أبانالى المدينة بعد وفاة الرسول ، وطلب أهل البحرين من أبي بكر أن يرد العلاء عليهم ففعل . (البلاذري ، ص ١١١) . ويفهم من نص يورده البلاذري أن كسرى كان قد نقل جماعة من الفرس واسكنهم هجر فيما عرف باسم « وضائع كسرى » وحاول العلاء أن يدخلهم في الاسلام ، ولكنهم رفضوا ، فأخذ منهم الجزية (البلاذري ، ص ١١١) . وتكمن أهمية النص فيما يتضمنه من اشارة الى عمليات نقل سكان متعمدة من الارض الفارسيةالى الارض العربية . ويبدو من الشرح الذييورده ابن منظور لكلمة « وضائع » التي وردت في نص البلاذري آنف الذكر ، التي يشرحهاابن منظور بقوله : « الوضائع والوضيعة : قوم كان كسرى ينقلهم من ارضهم فيسكنهم ارضا أخرى حتى يصيروا بها وضيعة ابدا ، وهم الشحن والمسالح » . نقول يبدو من هذا الشرح أن عمليات نقل عناصر بشرية فارسية واسكانها في مناطق حدود فارس مع البلاد الاخرى كانت من الأساليب التي تلجأ اليها فارس لتثبيت وجودها السياسي والعسكري في المناطق التي كانت لها فيها مطامع أو تخشى انتفاضها عليها ورفض سيطرتها ، وهذا الوجود البشري الغريب وما يكون قد مارسه من تسلط وارهاب ، كان من بين الاسباب التي جعلت عرب البحرين وهجر يهرعون الى المدينة علهم يجدوا في ظل دولتها خلاصاً مما هم فيه من حال يائسة وتسلط اجنبي ، على أن قضية الاسلام في البحرين زمن الرسول مرت في خلال السنتين اللتين تلتا فتح مكة وحتى وفاته صلوات الله عليه ببعض الصعوبات والازمات . وقد بلغت هذه الصعوبات ذروتها بوفاة المنذر بن ساوى التي جرت في نفس الفترة التي انتقل فيها الرسول الى جوار ربه أيضاً . وكانت أهم مظاهرها ضعف الحزب المسلم في البحرين وهجر بسبب وجود عدد من الزعماء القبليين المعادين للاسلام في المناطق التي تقع بين البحرين والمدينة

ساعدوا على ضرب الفئة المسلمة في البحرين وعدم تمكينها من اقامة امارة اسلامية هناك . وكانت بوادر امكانية اقامة مثل هذه الامارة قد ظهرت منذ أيام العلاء بن الحضرمي الذي استطاع جباية الزكاة والجزية ممن تبع الاسلام أو دخل في ذمة المسلمين من بقية العناصر السكانية كما اسلفنا . ولم يتأت للاسلام أن يمتن جذوره في هذه المنطقة كسواها الا بعد انتهاء محنة الردة بنصر مؤزر للاسلام في كافة بقاع الجزيرة ، اتاح لعرب الجزيرة المسلمين أن يتدفقوا كسيل هادر ليرفع رايات الاسلام على مختلف بقاع الارض .

بعد هذا العرض لاهم النصوص والروايات والاخبار التي نجدهـا في مصادرنا حول موضوع انتشار الاسلام زمن الرسول في منطقة الخليج ، ودراستها دراسة نقدية واستخلاص بعض المؤشرات التي توضح الخطوط العامة والاساسية لسياسة الرسول الكريم في نشر الاسلام في الجزيـرة العربية بشكل عام وفي منطقة الخليج بشكل خاص . لابد لنا وان ننتقل لنناقش مايدعيه بعض المستشرقين المحدثين من ان الرسول الكريم كـان يهدف من وراء ارسال بعوثه الى جنوب الجزيرة العربية وشرقها أهدافاً سياسية أكثر منها دينية وانه كان يسعى لاقامة تحالفات سياسية بينـه وبين رؤساء القبائل النازلة في تلك المناطق اكثر مما كان يهدف الى نشر الاسلام . ويضيفون الى ادعائهم هذا أن مانجده في كتبه الى الامراء ورؤساء القبائل من حض على اقامة شعائر الدين ودفع الزكاة قد يكون مما اضافه الرواة المتأخرون لأنهم اعتقدوا أن سيرة حياة الرسول والاهداف التي كان يسعى اليها لابد ان اقتضت منه أن تتضمن كتبه مثل هذه العبارات . (انظـر : Watt - Muh. At Medina, p. 125) .

ان هـذا الزعم زعم غريب وخطير ، فهو غريب لانه لم يبن على اية حقيقة أو نص أو رواية تاريخية . وهو خطير لأنه يحاول أن يجرد دعـوة الرسول من محتواها الديني وينقلها من دعوة لنشر الاسلام الى دعوة لاقامة دولة محمد . والشق الأول من نقاشنا لهذا الامر الذي بنيناه على عـدم وجود نصوص أو روايات تؤيد هذا الزعم ، يظل ناقصا اذا لم يثبت العكس وهو أن كـل النصوص والروايات سواء مااستعملناه منها اثنـاء نقاشنا لموضوع انتشار الاسلام في شرقي الجزيرة والخليج ، أو مالـم نتعرض له وهو كثير كثير ، يصر على عكس ذلك وهو أن الهدف الأساسي لبعوث محمد الى هذه القبائل وتلك المناطق كان حضها على الدخول في الاسلام كما ان

جميع مانجده في مابين أيدينا من مصادر حول موضوع الوفود التي قصدت المدينة في عام الوفود ومادار بينها وبين الرسول من نقاش واحاديث كان محوره الدعوة الى الاسلام والحض على التمسك بمبادئه وأوامره ونواهيه واظهار الشدة المتناهية في تطبيق تعاليمه ومبادئه . ولم يأت فيه ذكر لسياسة أو تحالف سياسي أو ماشابه . ولعل أفضل مثل يمكن أن نورده على ذلك هو النقاش الذي جرى بين الرسول الكريم وبين وفد قبيلة جعفي من أجل قضية دينية صغيرة ، وموقف الرسول الصلب من مبادىء الاسلام ونواهيه . يذكر ابن سعد أن قبيلة جعفي كانت تحرم أكل القلب في الجاهلية وان وفداً منهم وفد عليه صلوات الله عليه فيه رجلان منهم هما قيس بن سلمة بن شراحيل الجعفي وأخوه سلمة بن يزيد الجعفي ، وهما اخوان لأم فسألهما الرسول : « بلغني انكم لاتأكلون القلب ؟ قالا : نعم . قال : فانه لايكتمل اسلامكم الا بأكله ، ودعا لهما بقلب فشوي ، ثم ناوله سلمة ابن يزيد ، فلماأخذه أرعدت يده، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : كله ، فأكله . . . ثم قالا : يارسول الله ان أمنا مليكه بنت الحلو كانت تفك العاني وتطعم البائس وترحم المسكين ، وانها ماتت وقد وأدت بنية لها صغيرة فما حالها ؟ قال ، الوائدة والموؤدة في النار ، فقاما مغضبين، فقال: إلي فارجعا فقال : وأمي مع أمكما ، فأبيا ومضيا وهما يقولان : والله ان رجلا اطعمنا القلب ، وزعم أن امنا في النار لأهل لان لا يتبع وذهبا . . . فبلغ ذلك النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فلعنهما فيمن كان يلعن . . . » (ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٢٤ ــ ٣٢٥) . ان انسانا لايقبل التنازل عن أي مبدأ من مبادىء دين الله مهما كان صغيرا كأكل القلب ومصير الوائدة والمؤودة ، ولو أدى ذلك الى غضب زعيمي قبيلة كبيرة كقبيلة جعفي ورفضهما الاسلام لايمكن أن تنزع عن دعوته الصفة الدينية وتبرز فيها الواجهة السياسية . هذا فضلا عن أن في مصادرنا تأكيداً لايرقى اليه شك على أوامره لمبعوثيه بهدم أصنام القبائل التي بعثوا اليها والتأكيد على تعاليم الاسلام وارشاد الناس الى أدق تفاصيل الدين ، لايحتاج الأمر هنا الى ذكر المصادر ومافيها من روايات حول هذا الامر فهي أكثر من أن تذكر في هامش .

أما الأمر الثاني وهو ماذكرناه من أن هذا الاتهام يحاول أن يجرد دعوة الرسول من محتواها الديني وينقلها من دعوة لنشر الاسلام الى دعوة

لاقامة دولة محمد فتبيان خطأه ومجافاتــه للصواب أمــر يعود السوء فهم المستشرقين الذين قدموا لقرائهم هذا الزعم ، لطبيعــة الدولة في الاسلام وصلة الدولة بالدين سواء أكان ذلك عن عمد ، أو لجهل وتقصير في فهم الصلة بين الدين والدولة في الاسلام ، ولست أراني بحاجة لأن أخــوض مفصلا في موضوع المبادىء وتأكيد حقيقــة ان الدين والدولــة في الاسلام متلازمان ومترابطان ترابطاً عضويا ومصيريا لأن الدين هو الاساس الذي تقوم عليه الدولة الاسلامية ، ولان الفارق الاساسي بين الاسلام والمسيحية هو انه في المسيحية هناك مؤسستان منفصلتان لارابطة بينهما في الاساس هما : الدولة والكنيسة . وان الدولــة في المسيحية كانت موجودة قبــل الدين ، ثم جا ءالدين كمؤسسة مستقلة بعد صدور مرسوم ميلانــو سنة ٣١٢ من قبل قسطنطين الكبير الذي اعترف بالمسيحية دينــا شرعيا بين اديان الامبراطورية الرومانيــة فنشأت الكنيسة كمؤسسة مستقلة ، ثم مالبث أن قام تزاحم على السلطة بين الاباطرة البيزنطيين وبطاركة كنيسة القسطنطينية وتغلب الاباطــرة في هــذا الصراع واعتبروا أنفسهم سادة الكنيسة أول الامر ، ولكن حين قبل شارلمان بأن يأخذ تاج الامبراطوريــة من يد بابا روما « ليون الثالث » الذي وضع تاج الامبراطورية على رأس شارل الكبير (شارلمان) في كنيسة القديس بطرس في روما يوم الخامس والعشرين من كانون الاول سنة ٨٠٠ للميلاد بدأت مرحلة جديدة فيالعلاقة بين الكنيسة والدولةوظهرت مدرسةفي التفكير السياسي في الامبراطوريات المسيحية تقبل سيادة الكنيسة على الدولة . على أن هذه المدرسة لم تكن وليدة قناعة أو انتصار فكرة على فكــرة ، ولكنها كانت نتيجــة لظروف الصراع السياسي بين شقي الامبراطورية الرومانية الشرقي والغربي . كما انها كانت وليدة الصراع بين بابا روما وبطريرك القسطنطينية اللذين كان كل منهما يحاول اظهار تفوقه وزعامته ازاء خصمه .

وطبيعي انه ليس من أهداف هــذا البحث ان ندخــل في تفاصيل موضوع نظام الحكم في الاسلام والمسيحية والمقارنة بينهما وانما سقنا هذا الذي ذكرناه لنقول من خلالهانه بخلاف ماكانتعليه الحال فيالامبراطوريات المسيحية ، كان الدين عماداً الدولة محمد في المدينة وان كل تحرك سياسي قام به كان لايهدف الى استمرار الدولة لانها دولته ، ولكن لانها الدولة التي تعتمد الاسلام نظاما وتأخذ على عاتقها نشره وتقويته وتعميمرسالته.

ومن هذا المنطلق يمكننا أن نفهم جهود الرسول لنشر الاسلام خارج حدود الجزيرة ، وكتبه للملوك والامراء خارج الجزيرة وتحركاته السياسية والعسكرية في مناطق الحدود التي كان بعضها يجاور منطقة نفوذ سياسي بيزنطي ، وبعضها يجاور منطقة نفوذ فارسي ، والاولويات التي كانت قوام سياسته في نشر الاسلام خارج حدود الجزيرة والتي اعتمدت أساساً لها الاخطار التي قد تتعرض لها دولة الاسلام . ولعل أهم هذه الاولويات في سياسة الرسول الخارجية كانت شعوره بعظم الخطر الخارجي الذي تمثله بيزنطة التي خرجت منتصرة في حروبها مع الفرس كما شرحنا انفا . واستطاعت ان تسترد ولاء العديد من القبائل العربية التي كانت تنزل على حدوده الشمالية بين الحجاز والشام لذا نراه يحاول في تلك الجبهة الا يكتفي بالبعوث والرسل بل يرسل قوات عسكرية تستطلع وتناوش وتقدر قوة العدو . ومن هذا القبيل يمكننا أن نذكر غزوة تبوك التي أمر فيها الرسول الناس بالتهيؤ لغزو الروم وذلك في ذي الحجة الى رجب من السنة التاسعة للهجرة ، والتي يذكر الواقدي في حديثه عن اسبابها ان جماعة من الأنباط يسميهم بـ « الساقطة » كانوا منذ الجاهلية يقدمون الى المدينة بالدقيق والزيت ليبيعونها لأهلها ، واستمروا على ذلك بعد تنزل الاسلام على قلب الرسول الامين .

وكان الرسول بعد هجرته الى المدينة يتلقى منهم اخبار الشام وما يجري فيها وما يهيأ ضده من قبل حكامها البيزنطيين . وهكذا كانت كما يقول الواقدي : « اخبار الشام عند المسلمين كل يوم لكثرة من يقدم عليهم من الانباط » . (الواقدي ط مارسدن جونس ، جـ ٣ ، ص ٩٨٩ وما بعدها) وصادف ان قدم جماعة من هؤلاء الساقطة من الشام الى المدينة بتجارتهم ، واخبروا الرسول ان الروم قد جمعت جموعا كثيرة في الشام . وان هرقل قد أعطى جنده أرزاق سنة كاملة مسبقا ليستثير حميتهم لقتال المسلمين . وانه ضم الى جيشه جماعات كثيرة من قبائل لخم وجذام وغسان وعاملة وغيرها من قبائل الشام . كما ابلغوه ان هذه الجماعات قد زحفت الى البلقاء وعسكرت فيها بانتظار المسير الى المدينة لحرب الرسول . وقد دعا كل ذلك الرسول صلوات الله عليه ان يرأس بنفسه الجيش الذي اطلق عليه اسم جيش العسرة لظروف يعرفها الجميع وسار به الى تبوك حيث اقام مايقارب العشرين ليلة دون ان يدخل في قتال مع هرقل الذي كان في حمص انذاك . وليس يهمنا ان ندخل في تفاصيل

غزوة تبوك هذه ، ولكنا اردنا من التذكير بها ان نظهر الفرق بين مواقف الرسول في قضية الدعوة الى الاسلام ، بين شمال الجزيرة حيث يكمن خطر عاجل اضطره لاستعمال اسلوب القوة، وشرق الجزيرة أو جنوبها حيث كانت فارس في حال من الضعف والتردي ، وحيث كانت القبائل التـي وقعت تحت سيطرتها تتحين الفرص للخلاص منها .

فالامر اذن سواء في الشمال او الشرق لم يكن امر عقد محالفـــات سياسية بقدر ما كان اختلافا في التكتيك اقتضته طبيعة الوضع السياسي والبشري والقوى المحلية والاجنبية ومالها من نفوذ في المنطقة التي يريـد الرسول ان يدعو الناس فيها بدعوة الاسلام . واذا اخذنا بالاضافة الـى كل ما ذكر ان الثورة العربية على الحكم الفارسي قد اطلت برأسها منــذ الجاهلية القريبة من الاسلام حين قامت موقعة ذي قار وما تحقق فيهـا للعرب من انتصار لوجدنا ان اسلوب الدبلوماسية الهادئة ، ان جـــاز التعبير ، كان الاسلوب الذي يوفر للرسول ما اراده م ن اثبات للوجـود الاسلامي في شرقي الجزيرة وقرب سواحل الخليج دون ان يضطر لاستخدام القوة العسكرية التي قد تجبره ظروفه لاستخدامها في الشمال حيث يقيم الخطر البيزنطي على مسافة قصيرة من حدوده واستخدمها فعلا في غزوة تبوك كما المحنا . ثم ماكان بعده البعث أسامة بن زيد الذي لم يتـح له ان ينفذه لان المنية عاجلته . كما انه لابد من التنبيه الى الفارق في معاملة الرسول لمسيحيي الشمال ومسيحيي الجنوب والشرق. فما هو في المصادر حول هذا الموضوع يظهر للقارىء وكأنه كان للرسول موقفان مختلفان من المسيحيين العرب ؛ موقف متسامح مع مسيحيي جنوب وشرق الجزيـرة ، وموقف متشدد مع مسيحيي شمال الجزيرة . وانه مع الفئة الاولى كان متسامحا يقبل منهم الجزية . ولا يتشدد في اجبارهم على الاسلام . في حين انـه كان لا يقبل من مسيحيي الشمال الا الاسلام او السيف . ولعل التفسير المعقول لهذه الظاهرة ان صدقت او كان هناك ما يدعمها دعما كامـــلا فيما بين ايدينا من مصادر ، هو ان مسيحيي الجنوب والشرق لم يكونوا مرتبطين بقوة سياسية اجنبية تدعمهم بل هم بقايا العرب الذين اعتنقوا المسيحية ابان الغزو الحبشي او نتيجة لبعض عمليات التبشير . امـا الذين اعتنقوا المسيحية من القبائل التي كانت تنزل شمال الحجاز وعلى تخوم بلاد الشام . فقد كانوا مرتبطين بقوة سياسية خارجية هـــي الامبراطورية البيزنطية التي كانت تستخدمهم كأدوات لها في ضـــرب

القوة العربية التي بدأت تنمو في الحجاز وتستقطب ولاء القبائل العربية المختلفة ، الامر الذي قد يؤدي الى الاضرار البالغ بمصالح بيزنطةالتجارية من جهة ، ويهدد نفوذها في هذه البقعة من العالم . واذا اردنا ان نجمل بعض الملاحظات التي تبدو للباحث في موضوع انتشار الاسلام في منطقة الخليج زمن الرسول ، وان نحدد بعض الظروف والاجواء والمنطلقات التي واكبت عملية انتشار الاسلام في هذا الجزء من الجزيرة لوجدنا انه لابد لنا من ان نأخذ ما يلي بعين الاعتبار :

اولا : ان معنى كلمة « انتشار الاسلام » معنى نسبي ، وليس ضروريا ان تعني كلمة « انتشار الاسلام » في مجال البحث الذي قدمناه السيطرة الكاملة والتامة للاسلام على الرقعة من الارض التي كانت موضع حديثنا . ان قضية مدى نفوذ الرسول في الجزيرة العربية وقضية الايمان التام والكامل بالاسلام كدين وكنظام للحياة والجماعة قضيتان مختلفتان من حيث المدى الجغرافي . ففي حين انه يمكننا القول بشيء كثير من صدق ودقة انه منذ عام الوفود وحتى وفاته صلوات الله عليه ، كانت غالبيةعرب الجزيرة في شمالها وجنوبها وشرقها وغربها تدين بالولاء للرسول شخصيا وتقر بزعامته وسيادته وتعتبره سيد الجزيرة بلا منازع . كان الاسلام كدين لا يملك السيطرة التامة والكاملة الا على القبائل التي تنزل بين مكة والمدينة وبعض القبائل الاخرى . اما بقية القبائل الضاربة في ارضالجزيرة العربية ، فقد كان فيها مسلمون وكان فيها وجود للاسلام ولكن لم يكن الاسلام السيد الذي لاينازع او الدين الذي يعتنقه جميع الناسولايعارضه أي معارض .

ثانيا : ان قضية الردة هي الكاشف الحقيقي والمعيار الذينستطيع من خلاله ان نحكم على مدى انتشار الاسلام في قبيلة او منطقة ما . وبالرغم من انه لا يقع ضمن حدود هذه الدراسة التعرض لموضوع الردة، الا انه يمكننا القول ان هذه الحركة قد اوضحت بما لا يقبل الشك أن الاسلام كان قلعة صامدة في بعض المناطق وعند بعض القبائل ، وكان وجودا ضعيفا بين قبائل اخرى . ولعل أهم ماتكشف عنه الردة هو ان الاسلام كان بالنسبة للبعض حلقة في مسلسل التسلط السياسي والمالي القرشي الذي تعود جذوره لما قبل الاسلام . حتى ان الطبري يقول : « ان العرب بعد وفاة الرسول ارتدت عوام او خواص الا قريشا وثقيفا». (الطبري ، جـ ٣ ، ص ٢٤٢) .

وبالرغم مما في هذا الكلام من مبالغة ، ومن انه ليس من حدود هذه الدراسة كما اشرنا ، بحث الموضوع الردة ودلالاتها وما يمكن ان تشير اليه، فان قضية رفض السلطة القرشية تتمثل في اكثر من مجال مـن مجالات موضوع الردة . وقد عبر عنها خير تعبير الشاعر خطيل بن أوس اخي الحطيئة (او الحطيئة) على قــول اخر (انظر الاغانــي ، ط دار الكتب ، جـ ٢ ، ص ١٥٧) حين قال :

أطعنا رسول الله ماكان بيننا   فيا لعباد الله ما لأبــي بكر
ايورثها بكــرا اذا مات بعده   وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

هذا فضلا عن الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة والذين تنبأوا وادعوا الوحي او فهموا الدين فهما غير تام ولا عميق . الامــر الذي يوضــح ان انتشار الاسلام زمن الرسول الكريم كان يعني عند العديد مــن القبائــل والافراد قبول النفوذ السياسي للرسول من جهة ، وممارسة بعض طقوس الاسلام من جهة اخر . واذا اخذنا بعين الاعتبار قصر الفترة التي مضت بين اعتناق بعض القبائل والافراد الاسلام وبين وفاة الرسول لتوضح لنا ان ماندعيه من انه لم يكن للاسلام خارج الحجــاز زمن الرســول نفس الوجود القوى الذي كان له داخل الحجاز ولا سيما بين القبائل التي كانت تنزل بين مكة والمدينة . ولست اريد ان اصل الى حد القول بان البعض كان يرى فيه بضاعة قرشية ، ولكن لابــد من التأكيد على الدور الكبــير الذي لعبه ابو بكر في تثبيت الاسلام في الجزيرة والخدمة الجلى التي أداها للاسلام بنتيجة الموقف الصلب الذي وقفه في وجه من ارتد او فرق بين صلاة وزكــاة .

ثالثاً : ولابد من ان نورد في هذه الملاحظات التي أردناها خلاصة لهذا البحث ان امر انتشار الاسلام في شرقي الجزيرة والخليج زمن الرسول قد تأثر بعدة امور اهمها :

آ ــ قضية البعد الجغرافي بين المدينة وبين هذه المناطق والمسافــة الشاسعة التي تفصل بينهما، وماادى اليه ذلك من تأخر انتشار الاسلام فيها.

ب ــ اعتماد الرسول اسلوب البعوث والــدعاة والذكر . والموعظة الحسنة ، وعدم اللجوء الى القوة او الدعم العسكري . وقد اوضحنــا

سبب ذلك آنفا وبينا الاولويات التي اعتمدها الرسول في سياسته لنشر الاسلام داخل الجزيرة وخارجها .

جـ ـ اعتماد الدعوة الى الاسلام بين قبائل هذه المنطقة على ماكان فيها من تناقضات وخلافات وفئات وتنازع على الزعامات والاكتفاء في هذه المرحلة بتثبيت وجود اسلامي من نوع ما، دون الالحاح على سيادة الاسلام لظروف داخل دولة الاسلام وبين القبائل شرحناها فيما سلف ، وكان هذا الاسلوب جزءاً من السياسة العامة التي اتبعها الرسول في نشر الاسلام والتي كانت تقوم على اساس الدبلوماسية والمراسلة والحجة والاقناع والاستفادة من الظروف دون اللجوء الى عرض العضلات أو المظاهرات العسكرية ، لأن الاسلام لم يهدف الى قسر الناس على التسليم به ، بل الوصول الى قناعتهم النابعة من ايمان بالقلب وممارسة بالفعل والانتظام في ظل دولة تقوم على اساس من تعاليمه .

د ـ قضية الاخلاط البشرية التي كانت تسكن هذه المنطقة من الجزيرة من جهة،ووجود اديان موحدة وغير موحدةذات جذور وارتباطات سياسية خارجية ، فرضت على الرسول اتباع سياسة في الدعوة الى الاسلام تختلف عن السياسة التي اتبعها مبعوثوه الى القبائل والمناطق الاخرى .

هـ ـ أدى كل ذلك الى أن نحى الرسول الكريم في دعوته الىالاسلام في هذا الجزء من الجزيرة العربية منحى عقد اتفاقات لها صبغة دينية وسياسية معا . وذلك إما عن طريق مبعوثيه الى هذه القبائل ، أو عن طريق الوفود التي جاءت منها اليه في المدينة . وقد اوضحنا ذلكفيحديثنا عن الاتفاقات التي عقدها مبعوثوه أو المطالب التي ضمنها رسائله الىزعماء هذه القبائل أو فيما ذكرناه عن وفودها اليه والمفاوضات التي جرت بينها وبينه وما كتب لها من عهود وكتب أمان .

رابعـاً : لابد من ربط موضوع انتشار الاسلام في شرقي الجزيرة بعامة ومنطقة الخليج بخاصة ، بموضوع الوضع السياسي والعسكري لفارس في هذه المرحلة من تاريخها وذلك على ضوء صراعها مع بيزنطة وما أصابها بنتيجة هذا الصراع من ضعفوتدهور في وضعها الداخلي منجهة، وعلى ضوء التحرك العربي العام المضاد لفارس منذ فترة ماقبل الاسلام

منذ أن كانت متسلطة على العراق وشرقي الجزيرة عامة واستيقاظ الوعي القومي العربي الذي توجته معركة ذي قار من جهة أخرى . ويقودنا كل هذا الى اقرار مبدأ التلازم بين الاسلام والعروبة واعتبار الاسلام السند الاساسي للعروبة وملجأها الامين . وقد جاءت الاحداث بعد ذلك لتؤيد هذا الزعم حين كانت حركة الفتوح التي لايمكن أن نفصل فيها البعدالديني عن البعد القومي .

خامساً : يلاحظ الباحث لموضوع انتشار الاسلام زمن الرسول عامة انه كان له صلوات الله عليه موقف من نصارى جنوب شرقي الجزيرة يختلف عن موقفه من نصارى الشمال . وهذا الموقف ناجم كما أوضحنا من الارتباطات السياسية لكلا الفريقين : ففي حين كان نصارى الجنوب والشرق يعيشون في ظل نظام سياسي غير نصراني وبالتالي لايمكن أن يكونوا عملاء لهذا النظام الذي تمثله فئة المجوس ، كان نصارى الشمال الركيزة الاساسيةللوجود السياسيالبيزنطي .وهذا في رأينا يفسر أمرين: أولهما ــ الاختلاف في الموقف الديني من كلا الفئتين وسماحه لنصارى الجنوب والشرق بالبقاء على دينهم على أن يدفعوا الجزية ، وعدم موافقته على مثل ذلك الأمر بالنسبة لنصارى الشمال الامر الذي يتبدى في كتبه الى ملوك وامراء وزعماء كلا المنطقتين وعدم الحاجه في الاولى على اسلام من كان على النصرانية أو سواها واختار البقاء على دينه ، اذ لاعليه سوى أن يدفع الجزية . أما نصارى الشمال فكان عليهم أن يسلموا اذا كانوا عربا ، أو على الأقل الا يعمدوا أولادهم بالنصرانية . وثانيهما ــ قضية البعوث العسكرية التي سيرها الرسول الى القبائل المسيحية النازلة في حدوده الشمالية (مؤتة ، تبوك ، بعث اسامة بن زيد) ، والتي لانجد لها مثيلا بالنسبة للجنوب والشرق .

وطبيعي أن يكون من مبررات هذه البعوث أيضا أن الوجودالمسيحي بين العرب النازلين في حدوده الشمالية كان قويا في حين انه لم تكن الحال كذلك بالنسبة للقلة من المسيحيين الذين كانوا في الجنوب والشرق .

وبعد ،فهذه بعض الامور والملاحظاتالتي أردتعرضها حول موضوع انتشار الاسلام في الخليج زمن الرسول صلوات الله عليه ، وأرجو إن لم أكن قد وفيتها حقها او وفقت في عرضها ، أن تكون فاتحة دراسات اخرى تغني هذا الموضوع وتيسر ماغمض علي من جوانبه .